- المحاضرة الرابعة

- نظرية المحاكاة والانِعكاس في الفلسفة الجمالية:

Theory of Imitation and Reflection in Aesthetic Philosophy

- أهداف الدرس:

_ أن يتعرف الطالب على **نظرية المحاكاة والانِعكاس في الفلسفة الجمالية**

_ أن يطلع الطالب على طريقة إدراك وتذوق الجماليات

_ أن يفهم الطالب الترسبات المعرفية لفلسفة الجمال

_ أن يفهم أن فكرة الفن يعكس الواقع أو يحاكيه

- تمهيد:

تعدُّ نظرية المحاكاة والانِعكاس من أبرز المفاهيم التي تناولتها الفلسفة الجمالية في تفسير الفن والعلاقة بينه وبين الواقع. تعكس هاتان النظريتان رؤيتين متباينتين حول وظيفة الفن وطبيعته. وبينما تركز نظرية المحاكاة على تقليد الواقع، يتبنى مفهوم الانعكاس فكرة أن الفن ليس مجرد تمثيل للواقع، بل هو أداة تعكس الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية التي نشأ فيها. في هذا المقال، سنتناول كل نظرية على حدة، مع تقديم أمثلة توضح تأثيرهما في مجالات الأدب والفن.

- نظرية المحاكاة:

تعتمد نظرية المحاكاة على فكرة أن الفن هو تمثيل للعالم الحقيقي أو الطبيعة. وقد تطورت هذه النظرية عبر العصور، بدءًا من الفيلسوف اليوناني أفلاطون، الذي كان يرى أن "الفن هو مجرد محاكاة للعالم الحسي المادي، الذي لا يعدو كونه انعكاسًا مشوهًا للعالم المثالي الذي لا يمكننا إدراكه بالكامل. في هذا السياق، كان أفلاطون يرى أن الفن بعيد عن الحقيقة المثالية، وأنه يشوه الواقع بدلاً من أن يقدمه كما هو. على النقيض من ذلك، نظر أرسطو إلى المحاكاة بشكل أكثر إيجابية. في كتابه "فن الشعر"، اعتبر أرسطو أن الفن هو محاكاة للطبيعة البشرية والأحداث الإنسانية،

ولكنه لا يقتصر على التقليد البسيط، بل يضيف بعدًا إبداعيًا، حيث يُقدِّم الفن تفسيرًا أعمق للواقع وتفاعلًا مع القيم الأخلاقية والإنسانية"[1]. ومن أمثلة ذلك .

- **أفلاطون** :في عمله "الجمهورية"، يبين أفلاطون كيف أن الفن لا يستطيع تقديم الحقيقة كما هي، بل هو مجرد تمثيل للأشياء المادية التي هي بدورها تمثيل لعالم المثل المثالي. على سبيل المثال، تمثال أو لوحة لا تعكس سوى الظلال الحسية للأشياء الحقيقية، بينما الحقيقة تكمن في العالم غير المرئي للمثل.

ب - الأفكار الجمالية عند اليونان :

مما لاشك فيه أن اليونان اهتموا بالفلسفة بصفة عامة وبالجمال(Beauty) بصفة خاصة ،كونه مبحثا يهتم بالطبيعة والإنسان ،فكان لكل فيلسوف رأيه ووجهة نظره في إدراك الجمال ،من هؤلاء نجد (فيثاغورس PYTHGORAS) الذي تحدث عن الجمال بصفته تجربة عرفانية تنطلق من معطى رياضي الذي أساس كل جمال وصولا إلى الفلاسفة العقليين المتأخرين الذين تساءلوا عن طبيعة الجمال وحاولوا الكشف عن أسراره "[2] فتضاربت الآراء في ماهية (الجميل) كل حسب رأيه وثقافته الفكرية ،ف" (هيراقليطس) الذي تصور الكون صيرورة لانهائية بين أضداد متصارعة رأى أن الجمال هو الانسجام الذي ينظم الكون في هذا الصراع الدائم ، ويشير الأستاذ ف. (أسموس) إلى "أن الفكرة الأساسية التي طوّرها (هيراقليطس) في ميدان علم الجمال تقول إن الجمال هو تعبير عن انسجام الأضداد" [3]، كما أن (سقراط) تساءل في محاورة (هيبياساالأكبر) عمّا **هو** الجميل؟ ..وفي سياق حواره مع (هيبياس) خلص إلى نتيجة مفادها بأن من الصعب أن نبث في

---

[1] -ينظر :شكري عزيز الماضي – محاضرات في نظرية الأدب ط1984،1،دار البعث للتوزيع والنشر ، قسنطينة ، الجزائر، ص24

[2] - .أنيس فيلالي ، الفكر الجمالي عند أفلاطون ، مجلة المقال ،ع7،2018، ص119

[3] -ثيوكاريسكيسيديس، هيراقليطس، جذور المادية الديالكتيكية، ترجمة حاتم سليمان، دار الفارابي، بيروت 2001 ص 30

مسألة الجميل، لذا ختم المحاورة بمثال يقول: "الأشياء الجميلة صعبة"، رغم أنه في محاورة "فيليبوس" بدا أنه يؤيد الرأي القائل بأن الجميل هو المتناسب المنسجم بوصفة درجة وسيطة بين الرزانة والحكمة" [4] و يرى أفلاطون بأن الفنون تكتسب جمالها وفقاً لمقدار محاكاتها للطبيعة، والتي هي في الأساس محاكاة ناقصة تشدو إلى عالم (المُثل) – عالم العقل المطلق لدى أفلاطون، مما يجعل الفن (تقليدا للتقليد) لدى أفلاطون، ورغم أن تلميذه (أرسطو) الفيلسوف الأبرز ذهب إلى نفس الرأي فيما يتعلق بأن جمال الفن هو محاكاة للطبيعة إلا أنه أسند له دوراً ريادياً في تطهير النفوس من الانفعالات الضّارة".[5] ، وبعد هذين الفيلسوفين لم تصل لنا حقاً نظرية في الجمال والفن تستحق الإشادة إلى غاية ظهور كتابه (نقد مَلَكة الحكم) لـ(امانويل كانط) في أواخر القرن الثامن عشر" ،[6]

- **أرسطو** :في مسرحياته، مثل (أنتيجون) لـ(سوفوكليس)، يمكن اعتبار العمل الفني محاكاة للنزاعات الأخلاقية والإنسانية. إذ تعكس المسرحية بشكل فني صراع الشخصيات مع القوانين الإنسانية والإلهية، مما يعزز فهمنا للطبيعة البشرية.

- **الفن الواقعي** :في الرسم، قدم الفنان الفرنسي (غوستاف كوربيه) العديد من الأعمال التي تُعد محاكاة للواقع المادي، مثل : الدفان (The Burial at Ornans)، حيث رسم مشهدًا واقعيًا جدًا لدفن في الريف الفرنسي، محاكيًا الواقع بشكل مباشر دون embellishmentsأو رومانسية .

---

[4] - جعفر الشكرجي، الفن والأخلاق في فلسفة الجمال ، دار حوران، دمشق 2002 ،ص37

[5] - فراس السواح، دين الإنسان، دار علاء الدين، دمشق 2002، ص78

[6] -https://hekmah.org/فلسفة-الجمال-هيجل/14-09-2023 في الساعة:18

- **نظرية الانعكاس**Theory of Reflection

تختلف نظرية الانعكاس عن المحاكاة بأنها لا تركز فقط على التقليد البسيط للواقع، بل على كيفية تأثير الفن بالمجتمع والواقع الثقافي أو التاريخي الذي نشأ فيه. وفقًا لهذه النظرية، يعد الفن انعكاسًا للواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في فترة معينة. فالعمل الفني ليس مجرد صورة للعالم المادي، بل هو مرآة تعكس التوترات والأفكار السائدة في المجتمع الذي يُنتج فيه. تُستخدم هذه النظرية في تفسير كيفية تعبير الفن عن قضايا مثل الطبقات الاجتماعية، والصراعات السياسية، والمشاكل الاقتصادية. وبذلك يصبح الفن أداة لفهم التاريخ والجغرافيا الاجتماعية والسياسية، وقد يكون وسيلة للنقد الاجتماعي.

- **أمثلة على نظرية الانعكاس**

- **الأدب النقدي الاجتماعي** :تُعدُّ رواية "توقعات العظمة (Great Expectations)" لـ(تشارلز ديكنز)مثالًا واضحًا على نظرية الانعكاس. تجسد الرواية الواقع الاجتماعي في إنجلترا في القرن التاسع عشر، حيث يتم تناول قضايا الطبقات الاجتماعية والفقر والصراعات الإنسانية في ظل بيئة اقتصادية معينة.

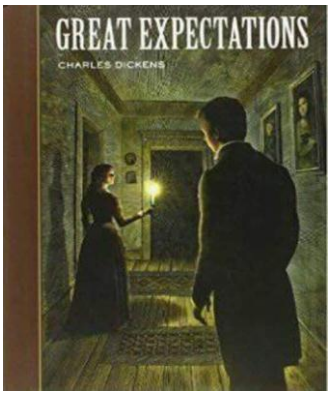

بهذه الطريقة، يمكن اعتبار العمل الفني انعكاسًا للظروف الاجتماعية التي كانت سائدة في تلك الفترة.

"وترى نظرية الانعكاس أن أساس وهدف ومعيار المعرفة هو الخبرة الاجتماعية التاريخية للجنس البشري"[7]

---

[7] - م . اونسيانيكوف ،مشكلات علم الجمال الحديث ،ص 166-167

- الفن التعبيري في القرن العشرين:

تُعدُّ لوحة "الصرخة (The Scream) "للفنان (إدفارد مونك) إحدى أشهر الأعمال الفنية التي يمكن تفسيرها على أنها انعكاس لحالة القلق والتوتر التي كانت تسود أوروبا في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى. اللوحة لا تعكس فقط حالة الفنان النفسية، بل تعكس أيضًا التوتر الاجتماعي والسياسي في تلك الحقبة.- **السينما الواقعية** :يعد فيلم "أرض البؤساء(Les Misérables) "، المقتبس من رواية (فيكتور هيغو)، مثالًا آخر على انعكاس الفن للواقع الاجتماعي والسياسي. يُظهر الفيلم الصراعات الاجتماعية الناتجة عن الظلم الطبقي والفقر، مع التركيز على معاناة الطبقات الدنيا في فرنسا في القرن التاسع عشر، مما يعكس بوضوح التوترات الاجتماعية والسياسية في تلك الفترة .

- الفن في فترة الحرب العالمية الثانية:

العديد من الأعمال الفنية التي نشأت خلال الحرب العالمية الثانية، سواء كانت لوحات أو صورًا فوتوغرافية، تعكس الدمار والمعاناة التي رافقت الصراعات العسكرية. فالفن هنا لا يتصور الواقع فقط، بل يعبر عن المآسي الإنسانية الناتجة عن الحرب والدمار، مما يجعله مرآة لفترة صعبة في تاريخ البشرية.

- **الفرق بين المحاكاة والانِعكاس:**Imitation and Reflection

بينما تركز نظرية المحاكاة على فكرة تقليد الواقع كما هو، فإن نظرية الانعكاس تركز على الفن كمرآة للعالم الاجتماعي والثقافي والسياسي الذي ينتمي إليه. يمكن القول إن المحاكاة تسعى إلى تمثيل الأشياء كما هي، بينما يعكس الفن في نظرية الانعكاس تطور الأفكار والمشاعر داخل سياق ثقافي واجتماعي معين. وبذلك، يشكل كل من الفن المقتصر على المحاكاة والفن الذي يعكس المجتمع طريقين مختلفين لفهم الواقع عبر الأداة الفنية.

- **الخاتمة:**

نظرية المحاكاة والانِعكاس هي من الأدوات الفلسفية الهامة لفهم العلاقة بين الفن والعالم. يقتصر الفن فيه على تقليد الواقع ،بينما هو في نظرية الانعكاس يصور الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي في زمنه. لتصبحت هذه النظريات مرجعية لفهم الإنتاج الفني، في اللوحات، الأدب، المسرح أو السينما، مما يعزز من قدرتنا على تفسير وفهم العالم من خلال الفن.

- **تطبيق :** بين الفرق بين نظرية المحاكاة والانعكاس عند افلاطون وأرسطو

نظرية المحاكاة والانعكاس في نظرية الجمال عند أفلاطون وأرسطو تتناول العلاقة بين الفن والواقع، لكن كل منهما تناول هذه العلاقة من زاوية مختلفة، مما يعكس اختلافات في الفلسفة الجمالية لكليهما.

1- نظرية المحاكاة عند أفلاطون:

أفلاطون يرى أن الفن هو **محاكاة (مضاهاة**(للعالم المادي، الذي بدوره هو مجرد نسخة غير كاملة من **العالم المثالي** أو عالم الأفكار. في نظرية المحاكاة، يرى أفلاطون أن الأشياء في العالم المادي ما هي إلا تجسيدات هشة وغير كاملة للأفكار المثالية التي توجد في عالم المثل. الفن، بحسب أفلاطون، هو محاكاة لهذه النسخ المادية، وبالتالي هو **محاكاة للنسخ الأصلية**. من هذا المنطلق، يعتبر أفلاطون أن الفن ليس سوى **نسخة ثالثة** من الحقيقة، حيث أن المحاكاة الأولى هي الحقيقة أو النموذج المثالي في عالم الأفكار، بينما الثانية هي النسخة المادية منها، وأخيرًا تأتي النسخة الثالثة التي تمثل الفن، والذي لا يمكن أن يحمل نفس الكمال والجمال الموجود في المثال الأعلى. لذا، أفلاطون يعتبر الفن في بعض الأحيان **مضللًا** لأنه يمكن أن يبتعد عن الحقيقة ويثير مشاعر زائفة أو غير حقيقية.

2- نظرية المحاكاة عند أرسطو:

أما أرسطو، فيرى أن الفن هو **محاكاة للطبيعة**، ولكنه لا يتفق مع أفلاطون في أن الفن بعيد عن الحقيقة. أرسطو يعتبر أن الفن يمكن أن يكون **مصدرًا للمعرفة**، وليس مجرد تقليد فارغ للواقع. بالنسبة له، الفن لا يقتصر على محاكاة الواقع كما هو، بل هو محاكاة يمكن أن تكون **مبنية على فكرة مثالية** أو **تحسين لما هو موجود**.

الفن عند أرسطو ليس مجرد **محاكاة للواقع المادي**، بل هو **تقديم للمعنى والجوهر** الكامن وراء الأشياء. على سبيل المثال، في المسرحيات التراجيدية، يقوم الفن بتقديم تصوير لحالات إنسانية تتجاوز الواقع، لكنها تعكس

الحقيقة الإنسانية بطريقة أعمق وأكثر تنويرًا. أرسطو يراها وسيلة لفهم الحياة والنفس البشرية بشكل أعمق.

3- نظرية الانعكاس عند أفلاطون:

أما بالنسبة للانعكاس، فهذا المفهوم يظهر بشكل أوضح في **مقارنة أفلاطون** بين العالم المادي وعالم المثل. في نظرية الانعكاس، يرى أفلاطون أن **العالم المادي ليس سوى انعكاسًا مشوهًا للعالم المثالي** .بمعنى آخر، كل شيء في هذا العالم هو مجرد **صورة مشوهة أو انعكاس للحقائق العليا** التي توجد في عالم المثل. وهذا يظهر بشكل جلي في **أسطورة الكهف** التي قدمها أفلاطون في كتابه "الجمهورية"، حيث يقارن الناس الذين يعيشون في العالم المادي بالأشخاص الذين يعيشون في الظلال داخل الكهف، متوهمين أن هذه الظلال هي الحقيقة، بينما الحقيقة الحقيقية تتواجد في الخارج في عالم المثل.

4- نظرية الانعكاس عند أرسطو:

بالنسبة لأرسطو، لا توجد **فكرة واضحة للانعكاس** كما عند أفلاطون. لكن يمكن القول أن أرسطو **يعتبر الفن انعكاسًا** للواقع من منظور آخر، حيث إنه ليس انعكاسًا مجردًا أو مشوهًا كما هو الحال عند أفلاطون، بل هو **انعكاس للجوهر أو المعنى** الكامن وراء الظواهر. من هنا، لا يكون الفن عند أرسطو مجرد ظلال أو صور مشوهة، بل **تعبيرًا حقيقيًا** عن الطبيعة التي تسعى إلى **الكشف عن الحقيقة**.

- النتيجة :

- أفلاطون :الفن هو محاكاة للعالم المادي الذي هو بدوره محاكاة لعالم الأفكار المثالي. يرى أن الفن لا يعكس الحقيقة بشكل كامل، بل هو مجرد نسخة ثالثة من الواقع.

- أرسطو :الفن هو محاكاة للطبيعة، لكنه يراها أداة لفهم الحقيقة بشكل أعمق. لا يرى الفن مجرد **انعكاس للواقع**، بل وسيلة لتقديم **مفاهيم ومعاني أعمق** ، -النتيجة : رغم أن كلًا من أفلاطون وأرسطو يتفقان على أن الفن هو محاكاة للواقع، إلا أن أفلاطون يرى فيه شيئًا مشوهًا وغير كامل، بينما أرسطو يراه وسيلة لفهم الحقيقة بشكل أعمق وأكثر وضوحًا.

أفلاطون :الفن هو محاكاة للعالم المادي الذي هو بدوره محاكاة لعالم الأفكار المثالي. يرى أن الفن لا يعكس الحقيقة بشكل كامل، بل هو مجرد **نسخة ثالثة** من الواقع.**أرسطو** :الفن هو محاكاة للطبيعة، لكنه يراها أداة لفهم الحقيقة بشكل نظرية المحاكاة والانعكاس بين أفلاطون وأرسطو